فإن قلت : كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله : " فوسوس لهما الشيطان " الأعراف : 20 وأخرى بإلى ؟ قلت : وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس . ومنه : وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر . والفتح لحن . وأنشد ابن الأعرابي : .

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق .

فإذا قلت : وسوس له فمعناه لأجله كقوله : .

أجرس لها يا ابن أبي كباش .

ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك : حدث إليه وأسر إليه . أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم : فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي " وملك لا يبلى " دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس Bهم : " إلا أن تكونا ملكين " الأعراف : 20 ، بالكسر .

" فأكلا منها فبدت لهما سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى " طفق يفعل كذا مثل : جعل يفعل وأخذ وأنشأ . وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر . وكاد لمشارفته والدنو منه . قرئ " يخصفان " للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي : يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين . وقيل : كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما . وقيل : كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع عن ابن عباس : لا شبهة في أن آدم لم يمتثل ما رسم ا له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان . ولما عصى خرج فعله من أن يكون فعلا رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة ؛ لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله : " وعصى آدم ربه فغوى " بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل : وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات : فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم : انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب ا الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلطة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا أن تجسروا على التورط في الكبائر . وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا - وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في " فني وبقي " : فنا وبقا وهم بنوطي - تفسير خبيث .

" ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى " فإن قلت : ما معنى " ثم اجتباه ربه " ؟ قلت : ثم

قبله بعد التوبة وقربه إليه من جبى إلي كذا فاجتبيته . ونظيره : جليت علي العروس فاجتليتها . ومنه قوله D " وإذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها " الأعراف : 203 ، أي هلا جبيت إليك فاجتبيتها . وأصل الكلمة الجمع . ويقولون : اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار . و " هدى " أي وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى .

" قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن آتبع هداى فلا يضل ولا يشقى " .

لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلي البشر والسببين اللذين منها نشؤوا وتفرعوا : جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل : " فإما يأتينكم " على لفظ الجماعة . ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب وهو في الحقيقة للمسبب " هدى " كتاب وشريعة . وعن ابن عباس : ضمن ا لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا قوله : " فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى " والمعنى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب ا وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه .

" ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى "